# الفصل الأول

# هى دى أمريكا

# نيويورك .. تفاحة الجنة سقطت على الأرض

إنها مدينة نيويورك التى تحمل اسم دوق يورك ، ويسيطر عليها اليهود ، ويرهبها الزنوج ، وقد اشتراها أوربى أشقر من هندى أحمر بأربعة وعشرين دولاراً . فإذا بها تصبح خزانة الأرض وعاصمة الدنيا .

الزمان عام ١٥٢٤ . . ومركب شراعى يقبل من بعيد ، وصيحات الفرح فى أفواه المغامرين فوقه ، والقبطان من فلورنسا الإيطالية . . جيوفانى فيرازنو ، وقد كان أسبق الجميع إلى رؤية الخليج الذى ينبسط حول الجزيرة ، ( فلما افتتح أهل نيويورك جسرا هائلاً بين جزيرتى ستاتن وبروكلين الواقعتين فى كوردون مدينة نيويورك ـ أطلقوا عليه كوبرى جيوفانى فيرازنو ! ) وسجلها فى خرائطه ، ولكنها كانت بعيدة عن الشواطىء التى كان يتدفق عليها الهاربون من الاضطهاد الدينى فى أوربا ، والحالمون بالمجد من القارة التى سئمت الحروب . والغزاة الأسبان الذين تملكتهم ـ بعد أن طردوا العرب من بلادهم ـ شهوة الغزو منذ أن أعلن كريستوفر كولومبس كشفه لأمريكا . . وفى عام ١٦٠٩ وصل إليها هنرى هدسون ، قبطان انجليزى موظف فى شركة هولندية ، وحدق فى منظاره المكبر وصاح :

ـ يا إلهى إننى أرى نصف قمر !

وسأله مساعده الهولندى :

ـ سيدى هنرى هدسون . . هل تعنى الجزيرة التى أمامنا . . أم النهر الذى نسير إلى مصبه ؟!

فقال وهو يتجول بعينيه المجردتين مبهوراً :

ـ الجزيرة . .

وكان اسم الجزيرة مانهاتن . . هذا ما قاله الهنود الحمر سكانها ، أما النهر فقد أصبح نهر هدسون . . تخليداً لهنرى هدسون . وأقبل الهولنديون على الجزيرة . . فى عشرات السفن التى رست إلى الميناء فأصبح غابة من الأشرعة البيضاء ، ولكن مانهاتن ملكية هندية . صاحبها صانع تبغ وخرز وتمائم . وقد بحث عنه «بيتر مينوى» وواضح من اسمه أنه من أصل فرنسى ، ووجده ، وفاوضه على بيع الجزيرة ، ووافق الهندى الأحمر على أن يبيعها بأربعة وعشرين دولاراً . تقاضاها خرزا ملونا . . وظن أنه ضحك على الرجل الذى كان يمثل الشركة الهولندية . . ولكن العالم كله يضحك الآن على هذا «الهندى» لأن مانهاتن صارت هى جزيرة أعلى ناطحات السحاب فى العالم ، وأقوى بنوك العالم . . مانهاتن قصر الدنيا الشاهق . .

ولهذا فمدينة نيويورك عند الأمريكيين هى رمز لأمريكا القوية والثرية . حتى لو تنصلوا منها بعد ذلك بأنها مدينة لاتعبر عن الشعب الأمريكى لأنها مدينة من لا مدينة له . تجمع الأشتات من كل الدنيا . .

سفينة نوح دونها ، وبرج بابل قصة قصيرة إلى جانب ملحمة نيويورك الكبيرة المثيرة ، فقد احتلها الهولنديون فى مطلع القرن السابع عشر ، وسموها «نيونيذرلاند» أى الأراضى الواطئة الجديدة ، ولم يكن الهولنديون المحتلون دولة . . بل هى الشركة الهولندية لجزر الهند الجنوبية . تدعمها الدولة ، وكانت هذه الشركة تريد احتكار الأراضى لنفسها ، وهو ما عارضه بيتر مينوى الذى اشترى جزيرة مانهاتن لحسابها . واستقال مينوى . . وانتقل إلى العمل مع الحكومة السويدية ، واحتل لها مقاطعة «ديلاور» جنوبى نيويورك ، وأطلق عليها اسم «نيوسويد» ، واعتبر الهولنديون هذا التصرف تهديداً لهم . ولكن التهديد ظل باقياً لأن خلفاء مينوى فى حكم «نيونيذرلاند» لم يفعلوا شيئاً يقوى مواقعهم ، فلما جاء «بيتر ستوفيزانت» ـ وهو الآن ماركة سجاير ـ احتل نيو سويد وألغى اسم «نيونيذرلاند» وسماها «نيو أمستردام» . . التى هى نيويورك الآن !

ولكن التشكيل النهائى لتلك المنطقة لم يضعه بيتر ستوفيزانت بل إن الذى وضعته هى سلسلة من المعارك التى خاضها الإنجليز والفرنسيون ضد الهنود الحمر ، وأحياناً بالتحالف مع الهنود الحمر . واستتبت السيطرة للإنجليز على نيو أمستردام عام ١٦٦٤ فأهداها الملك شارل الثانى لشقيقه دوق يورك ، ولهذا أصبحت تحمل اسمه ، أصبحت نيويورك ، وقد أصبح دوق يورك الملك جورج الثانى ، وأصبحت نيويورك أعظم مدينة فى العالم .

ونيويورك مدينة تعشق الحرية . وهذا العشق قديم ، فقد كافح أهلها لكى يكون لهم صوت عند الحكومة البريطانية ـ أى حكومة

الاحتلال ـ وهم من طالبوا بإقصاء الحاكم البريطانى العام ـ أدموند ألدروس ـ الذى كان شخصية كريهة ، فلما لم تستجب الحكومة البريطانية أقصاه الأهالى فى ثورة شعبية ، وتولى حكم المدينة تاجر . . وتاجر التاجر بالمدينة فقبض عليه حاكم بريطانى جديد ، وشنقه . وفى عام ١٧٣٥ سمعت أمريكا عن أول قضية من قضايا الحرية الصحفية ، أقامها «جون رنجز» صاحب «النيو جازيت» ، وأصبح من حقه أن ينشر ما يشاء . . طالما كان صادقا . وقدمت نيويورك للحرب الأهلية ٥٠٠ ألف مقاتل ، وبقى أهلها جنوداً للجبهة الداخلية ينتجون فى المصانع . ومن يومها لم تكف نيويورك عن العطاء والإنتاج واشتهرت بقدرتها على مضاعفة الإنتاج خلال كل الحروب ومضاعفة الإصلاحات . . وأهم ناطحات السحاب التى أقيمت فيها كانت فى الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية : ولهذا دخل «لاجواردیا» عمدة نيويورك وعمدة الإصلاح فى الفترة من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٤٥ قلوب أهل المدينة فاطلقوا اسمه على مطار هائل !

ونيويورك المدينة عاصمة ولاية نيويورك . . ونجمة النجوم فى العلم الأمريكى . . وقد اختارها جورج واشنطن ، عاصمة رسمية للولايات المتحدة لأنها الولاية الإمبراطورة . . (الإمباير ستيت) ، وهذا الاسم أطلق على أكبر عمارة فيها . . وهى مبنى ( الإمباير ستيت) ـ ٦٥٠٠ نافذة ـ وبهذا المبنى يرمز لنيويورك ، وتمثال الحرية . وقد أقسم جورج واشنطن يمين الولاء الرئاسى عام ١٧٨٩ : فأقيم تمثال حيث أقسم ، وبقيت داره ومقر رئاسته مزاراً سياحياً تفخر به المدينة . ولكن نيويورك لم تستمر

طويلاً مقعداً لرئاسة الجمهورية . . ظلت كذلك عاماً واحداً ، واتفقت الولايات الأمريكية على ألا تستأثر إحدى هذه الولايات بمقعد الحكومة الفيدرالية بل تخصص أرضاً محايدة تسمى الآن واشنطن دى . سى . اى واشنطن الواقعة فى ضاحية من كولومبيا . وحملت المدينة اسم ابن نيويورك جورج واشنطن !

## الصين وجرينتش !

ونيويورك مجموعة أحياء كبيرة . . مانهاتن هى الجزيرة الرئيسية وحولها ما تبلغه بعبور كباريها الشاهقة أحياء «برونكس» «وكنجز» و«كوينز» و«رتشموند» . . وأحياء فرعية نوعية مثل «هارلم» حى الزنوج الذى يعتبر أفقر أحياء المدينة وإن كان من أصحاب الملايين البيض من تهزه دوافع إنسانية إلى بناء دور لرعاية المشردين ، ومدارس لمحو أمية الأميين ، وأندية رياضية . . وأندية «هارلم» تخرج لأمريكا أقوى لاعبيها فى الملاكمة وكرة السلة والمصارعة . ثم تقدم للعالم أمهر عازفى الآلات الموسيقية مثل الخالد «أرمسترونج» ، أشهر عازفى القرن العشرين ، من «هارلم» يرتفع صخب موسيقى الجاز . . فهذه ماركتهم المسجلة ، ولكنها تختلط برائحة الخمور . فهنا عتاة المدمنين ، وتترنح ـ أى موسيقى الجاز ـ فى سحب الماريجوانا فهنا تجارتها النشيطة تحت إشراف عتاة المافيا من أبناء صقلية الإيطاليين . ولكن هارلم ليست شرا كلها كما قد توحى الصورة . . أو كما تؤكد السيرة . . إنها تخرج أساتذة الجامعات السود ، وأشهر الفنانات والفنانين . . بالإضافة إلى أساطير الرياضة !

وفى حى «هارلم» الذى يزدحم بالزنوج وأبناء بورتوريكو السمر ،

يخرج الآباء والأمهات فى الأمسيات ليرقبوا أطفالهم وهم يمرحون فى «الشوارع» المزدحمة بالسيارات .

وتحاول السلطات تقوية قبضتها على الزنوج . الذين يتجمعون فى هارلم ، فتزيد من عدد رجال البوليس بنسبة ١١ فى المائة عن أى منطقة أخرى . وتقرر ذلك بقولها : إن أى حركة يقوم بها السود أخطر من انفجار القنبلة الذرية وانتشار الإشعاع الذرى على السكان .

**مدمنو المخدرات :**

إن نيويورك بها قوات بوليس أكبر من جيوش بعض الدول . ففى المدينة ٢٤ ألف رجل بوليس ، ورغم هذا فقد حدث فى العام الماضى أن تمت بها ٢٤٥ جريمة قتل و١١١٥ جريمة هتك عرض و٦٠٦٤ سرقة . وهذه أعلى نسبة فى عالم الجرائم . والمشاة وسائقو السيارات لا يستطيعون السير فى أمان فى عدد من شوارع نيويورك مساء ، وقرب حدائق السنترال بارك الشهيرة نهاراً .

**اغتصاب التلميذات :**

ومدارس نيويورك قد تعطيك صورة للأخلاق فى هذا المجتمع ، فمدرسة «جون مارشال» العليا تأمر فتياتها بالذهاب إلى المصعد ، كل فتاتين معا ، حماية لهن من الذئاب التى تغتصب كل فتاة تسير على انفراد فى المدرسة .

يصل تعداد نيويورك إلى ٨ ملايين نسمة وبين هؤلاء تجد واحداً من كل ثمانية يسكن فى أكواخ الأحياء الشعبية القذرة . . وهؤلاء المليون

نيويوركى يقاسمهم فى جحورهم ٩ ملايين فأر . وهذه الفئران من نوع خطير ، عض أحدها رجلا فأصابه إصابة خطيرة . وقتل آخر طفلاً بعد أن شوه ملامح وجهه . . ومعظم سكان أكواخ نيويورك هم من الزنوج وعددهم ٩٠٠ ألف نسمة ، وأبناء بورتوريكو وعددهم ٧٠٠ ألف آخرون ، ويقيم فيها أيضاً عدد كبير من اليهود والإيطاليين والأيرلنديين . . ومشاكل تعدد السكان تسبب أزمات لا حصر لها ، فأبناء بورتوريكو يزيدون كل عام بمعدل ٤٠ ألف نسمة وهؤلاء المواطنون الأمريكيون لايجيدون الإنجليزية .

وتوجد بعض مساكن شعبية بنيت لحل أزمة المساكن ، ولكن إذا اقتربت منها متفحصاً ، راعك أن نوافذها محطمة الزجاج ، وأبوابها مخلوعة وجدرانها متصدعة . كما أن مفاتيح النور معطلة دائماً وبعض الأسانسيرات تحولت إلى دورات للمياه .

إن نيويورك لم تعد تصلح بعد لذوى الدخل المتوسط ، ولذا أخذوا يلجأون للضواحى الهادئة النائية . وهكذا تبقى نيويورك لأصحابها : كبار أصحاب الأسهم ومديرى المصانع الذين يشكلون قوة سياسية هامة ذات نفوذ اقتصادى تستطيع شراء النواب والصحف والناخبين . . وللفقراء المعدمين الذين يشكلون أغلبية فاقدة النفوذ . لقد ظهرت حاجة المدينة أخيراً إلى عدد أكبر من رجال البوليس والمطافىء ورجال التعليم . . وأصبح عدد كبير من مبانى المستشفيات والمدارس فى حاجة إلى التجديد والإصلاح . . أما مكتبة المدينة فإنها تعانى من قلة العمل وعدم شراء الكتب الجديدة . .

## عاصمة اقتصادية :

ونيويورك مدينة رجال الأعمال . . فيها عدد من الصناعات والمؤسسات المالية والاقتصادية التى تؤدى أعمالاً كثيرة التنوع . ولهذا فإنها ترمومتر الاقتصاد الأمريكى ، ويبدو ذلك واضحاً فى حالات الأزمة الاقتصادية فتصاب نيويورك حينئذ بشلل اقتصادى هائل ، وتتحرك فيها طوابير العاطلين . والمدينة من الأهمية الاقتصادية بمكان حتى إن كل مؤسسة اقتصادية أيا كان نوع عملها تبادر إلى إنشاء مكتب لها فيها منذ إنشائها ، ولذلك فإن فى أرجائها عدداً من مكاتب الشركات يزيد على عدد مكاتب الشركات المتناثرة فى الولايات المتحدة كلها، أما ميناء نيويورك فإنه ما زال الميناء الأمريكى الرئيسى ، وهو يصدر ٢٦,٧ فى المائة من الصادرات الأمريكية .

والصناعة الرئيسية فى اقتصاد نيويورك هى صناعة الملابس الجاهزة، ولكن هذه الصناعة أصيبت بهزات شديدة بسبب ارتفاع تكاليفها والمنافسة الجديدة التى بدأت فى كاليفورنيا .

والمجتمع الأمريكى مجتمع عجيب فيه من يمتلكون كل شىء وفيه من لا يملكون أى شىء ! ، مجتمع خلقت منه السياسة والإقطاع والدولار عالما من عبدة المال . . وأصبح الإنسان الأمريكى العادى مجرد آلة تعمل وتعيش بالتقسيط . . صحيح أن الفرد هناك يمتلك المنزل والسيارة آخر موديل والتليفزيون الملون . وجميع وسائل الحياة الحديثة ولكن بالديون لأصحاب شركات الاحتكار والمال والتجارة .

فمثلاً هناك شركات تعلن فى الصحف والتليفزيون وبصفحات كاملة : استلم سيارة دون أن تدفع مليماً واحداً وكل ماهو مطلوب رقم حسابك فى البنك واسمك ورقم بطاقة العمل !! وتكون النتيجة . . الديون والأقساط التى لاتنتهى . . حتى دفن الموتى عندهم بالتقسيط المريح !! وهكذا تضخم أموال الاحتكاريين وأصحاب رؤوس الأموال ليغرقوا الأسواق كل يوم بمخترعات جديدة وآلات حديثة وأفكار جديدة تغرق معها الأسر فى بحر من الديون والأقساط التى ربما طالت لأكثر من عشرين سنة !!

ومن المناظر المألوفة طوال سيرك فى شوارع نيويورك أو نيوجرسى . . تليفزيونات وراديوهات وأكوام من الأثاث أمام المنازل !! فهناك لايوجد من يصلح لمبة التليفزيون أو «رجل الترابيزة» أو يرفو البدلة والبنطلون ولذلك يلقون بها خارج المنازل لتحملها عربات الزبالة .

ومن هنا فإن الرجل الأمريكى أصبح مشغولاً دائماً بالسيارة الجديدة . . وبالمنزل الجديد . . ولذلك فهو يعمل من الثامنة والنصف صباحاً . . حتى الخامسة مساء ليتمكن من تسديد الديون والأقساط . . لدرجة قتلت لديه المشاعر الإنسانية والروابط الأسرية . . فهو وحيد بين أسرته وإذا فتح الجريدة فإنما ليقرأ الأسعار والإعلانات وأخبار الجرائم والقتل . وإذا جلس فى أوقات فراغه أمام التليفزيون فإنما ليشاهد الكرة وأفلام القتل والجنس والإعلانات ويسجل أرقام تليفونات البائعين ليشترى ويبيع ويدفع ويشهر إفلاسه !! وهكذا نجده بعيداً عن العالم الخارجى . . وبعيداً عما يجرى فى الأمم المتحدة . . وهى على بعد أمتار

منه ـ وبعيداً من السياسة فى الخارج والداخل ومشغولاً بنفسه عن نفسه!!

وأما عطلة نهاية الأسبوع فمن الأسر الامريكية من تذهب إلى الأرياف أو إلى «المزادات!!» .

فنشاهد فى أعداد يومى السبت والأحد من صحف نيويورك حوالى عشرين صفحة إعلانات عن المزادات فيأخذ الأمريكى سيارته ودفتر الشيكات ويتجول من شارع إلى آخر ومن مدينة إلى مدينة وراء قلم حبر نادر أو صورة ملونة أو تمثال مغشوش !! ومن الطريف أن هناك بعض المزادات بالتقسيط أيضاً !! أى ادخل المزاد واشتر ما تريد وادفع مؤخرا ولا تظن إنك تهرب . . فلابد أن تدفع اليوم . . أو غداً ، المهم أنك ستدفع . .

ومعظم الأسر الأمريكية مشغولة عن أمريكا بحياتها . . ومشغولة عن العالم بمشاكلها . . وأفراد الأسرة كل فى عالمه الخاص . . الأب . . لا يعرف أين زوجته . . والزوجة لها عملها ومشاغلها وأصدقاؤها وحفلاتها الخاصة . . والبنت بعد الثامنة عشرة تعيش حياتها بعيداً عن الأسرة وبمفردها ! والابن يترك المنزل والمدرسة ليعمل بالثانوية فالتعليم الجامعى نفقاته باهظة ولايمكن أن يتحمله أى أب دخله السنوى حوالى ١٥ ألف دولار !! ولذلك نجد الآباء يطردون أولادهم بعد الثامنة عشرة فعليه أن يعمل ليعيش وأن يلتحق بالجامعة مساء إذا أراد وعلى نفقته !

وعلى الرغم من قوانين تقييد الطلاق العنيفة التى أصدرتها الدولة وهى

تنص على أن كل مطلقة لها الحق فى نصف ممتلكات زوجها ونصف دخله مدى الحياة !! ـ على الرغم من هذه القوانين فإن الطلاق زاد زيادة تهدد المجتمع الأمريكى . . لأن المرأة الأمريكية متمردة بطبيعتها . . جنسية بطبيعتها . . مغرورة . . متعجرفة . .

وفى مانهاتن فقط يعيش ٣ ملايين نسمة . . ويدخلها يومياً أكثر من ٥ ملايين نسمة . . وهى جزيرة لا تزيد مساحتها على ٢٢ ميلا !! وتحوى أكبر الشوارع فى العالم . . شوارع وأحياء كاملة لتجارة وعروض الجنس بارات ومطاعم وملاه أكثر مما فى جميع بلاد أوروبا !! وفى بنوكها أكثر من ٩٦٥ بليون دولار !! .

وأهم ما تتميز به مانهاتن . . هؤلاء البشر ، من كل الأجناس والألوان . . أحياء صينية . . وروسية وألمانية وفيها إيطاليون أكثر مما فى مدينة فينيسيا !! أيرلنديون أكثر مما فى دبلن !! ويهود أكثر مما فى إسرائيل!! هؤلاء البشر يتحدثون ٧٥ لغة حتى إن اللغة الانجليزية تسمعها هناك «مكرها» وهذه الجزيرة تعتبر أعجب جزيرة فى العالم . . فحاكمها من أصل انجليزى . . ومدير الأمن من أصل يهودى ومدير البوليس من أصل ألمانى . . ومدير المرافق من أصل إيطالى . .

والنتيجة لهذا التباين والتفاوت العجيب أن عصابات السطو والإرهاب اتخذت منها وكراً للقتل والسلب والبوليس الأمريكى لا تراه هناك ولا تسمع عنه !! . . فبوليس نيويورك جبان مرتش يعمل لحساب العصابات . . وكل عصابة تسيطر على منطقة من نيويورك . . ولها عملاؤها من رجال البوليس . . تدفع لهم رواتب شهرية ومن يقف

أمـامها تقتله فـوراً !! ومـن لايتعـاون معها تخطف أولاده وتغتصب بناتـه !!

وفى مانهاتن شوارع كاملة للجنس أمثال شارع (٤٢) وبرودواى والشارع السابع وحوارى وأزقة (داونتاون) وحديقة السنترال بارك الشبيهة بالهايدبارك اللندنية .. أصبحت أيضاً ميداناً للهيبز والجنس والشذوذ!!

نيويورك ، التفاحة الكبيرة كما يطلقون عليها أو مدينة الضرائب والغرباء وناطحات السحاب العملاقة التى ترتفع يوما بعد يوم حتى يخيل إليك أن الأدوار العليا فى جانبى الطريق تتشابك وأنت تراها من بعد مدينة الانطلاق بلا حدود والخوف أيضاً بلا حدود ، النظام والاحترام الشديد له ، والفوضى وعدم إمكانية السيطرة عليها، جنون الأسعار الغريب والرخص الشديد ، الانقلاب الذى يحدث يوماً بعد يوم فى المفاهيم ، وتأثير الطاقة على حياة الناس . كل ذلك يتفاعل داخل التفاحة الكبيرة . ولكن مذاقها يظل حلوا .

ودائماً العين الغريبة تشاهد وتلاحظ أكثر مما يشاهده ويلاحظه هذا الخليط الضخم المكون من ١٠ ملايين من البشر يتزايدون فى النهاية ليصبح ١٢ مليونا ، ويختفى مليونان من هذا العدد تحت سطح الأرض فى أنابيب الأنفاق .

يرتبط اسم نيويورك بناطحات السحاب التى تتزايد بشكل غريب عاماً بعد عام، وهى ترمز للزيادة الكبيرة فى رؤوس الأموال التى تمتلكها

الشركات والبنوك والأفراد . مثل «روكفلر» ويمتلك وحده ٢١ ناطحة فى الشارع الخامس ترتفع كل منها ما بين ٧٠ و ٩٠ طابقاً . مدينة متكاملة يلتف حولها السياح وداخل أسواقها ومطاعمها ومقاهيها وفى الأدوار تحت سطح الأرض ويطلق روكفلر النافورات حول مبانيه الـ ٢١ وتلتف حولها الحدائق والتماثيل وأحواض الزهور فى شكل متناسق ويشعر السائح الذى يتجول حول مبانى روكفلر أن ما يشاهده هو امتداد لتلك الجولة التى قضاها بين التابلوهات الرائعة داخل معرض بيكاسو المجاور . . وبجوار هذه الناطحات تطل واحدة من الشوامخ ذات الواجهات الأربع الزجاجية والتى تمتلكها ابنة أوناسيس .

والشىء الذى يلفت النظر أن تشاهد عمليات الغسيل المستمرة لهذه الناطحات ، لم يقتصر الأمر على الناطحات الزجاجية بل إن الواجهات من المبانى تغسل بالمنظفات والفرش الكهربائية حتى يعود اللون الأبيض إلى هذه الواجهات بشكل يجعلها كالجديدة . وفى يوم الأحد تلتف الأوناش حول العديد من هذه الناطحات لتقوم بدورها فى نقل الأثاثات من وإلى شقق هذه المبانى الضخمة لتدخل من النوافذ وتخرج منها بعيداً عن المصاعد الكهربائية وآلاف الدرجات من السلالم .

والسرقات فى تزايد مستمر لدرجة أن خطف الحقائب من أيدى السيدات أمر سهل ، وهذا يفسر السر وراء حمل الأمريكيات حقيبتى يد فى يد واحدة . وانقلبت أيضاً مفاهيم الأمريكيين عموماً بسبب أزمة الطاقة ، لا أستطيع أن أقول إن السيارات الأمريكية الكبيرة قد اختفت

ولكنها فى سبيلها إلى الاختفاء إن الذى يركب سيارة صغيرة فى شوارع المدن الأمريكية عموماً هو الذى ينظر إليه على أنه سعيد الحظ ، لأنها أصبحت هى السيارة المرتفعة الثمن والقليلة النفقات .

وأثناء تجوالك فى حى «برودواى» فإنك قد تجد إحدى الجماعات الدينية وقد حلق أفرادها شعورهم وأطلقوا ذقونهم بأعداد كبيرة وبينهم السيدات يطوفون حى المجون ويدقون بأيديهم على الطبول بشدة منادين بالعودة إلى الله ويطلقون أصواتهم إلى العنان : الله هو الملاك المخلص . ويتعطل المرور فى المدينة الضخمة . ويلتف العديد من السياح حول هذا المشهد الدينى .

وبالرغم من النظام المفروض على المدينة خاصة فى المرور والذى يشعر الجميع بالخطورة من أى مخالفة ، إلا أن المدينة تعانى من الفوضى التى لايمكن أن يحدث مثلها ولا حتى فى بعض الدول الأفريقية أو الآسيوية المتخلفة . هذه الفوضى تبدو واضحة على جدران قطارات مترو الأنفاق من الشخبطة بأقلام الفلومستر ، بجميع الألوان وقد حاول المسئولون أكثر من مرة تنظيف هذه الشخبطة إلا أنها كانت تعود من جديد بشكل أكثر حدة .

هذه الفوضى تجدها داخل سيارات الأتوبيس من تلك الأصوات المنطلقة من أجهزة الراديو والتى يحملها الزنوج ، لذا فإن اللافتات المعلقة فى الأتوبيسات تطلب دائماً عدم تشغيل أجهزة الراديو والتسجيل لراحة الركاب . وبالرغم من أن أسعار جميع الخدمات مرتفعة بشكل

جنونى ـ التليفونات والبريد وتذكرة الأتوبيس والمترو ، السينما والمسارح، الفنادق ، التاكسى ، الإيجارات ، إلا أن الملابس والمأكولات أسعارها أرخص بكثير من بلاد عديدة هذه هى المدينة التى تعيش ساهرة فى الوقت الذى ينام فيه أكثر من ثلثى البشر .

# شقة للإيجار فى نيويورك

على غير باقى المدن الأمريكية ، فإن مدينة «نيويورك» تنبض بالحياة فى مركزها . تموج وتفور ولا تعرف للهدوء معنى ولا للنوم سبيلا ، وخاصة فى جزيرة مانهاتن قلب نيويورك وعقلها . شوارعها الجانبية لا تخلو من المارة ، أما شوارعها الكبرى فلا تخلو من السياح . شبكة مواصلاتها على درجة عالية جداً من الكفاءة وهى تربط مانهاتن (القلب) بباقى أطراف مدينة نيويورك المترامية (برونكس ، كوينز ، بروكلين . . . ) . محلاتها مزدحمة بالبضائع وأكثر ازدحاماً بالمرتادين . أما أميز ما يميزها ، فهو استئثارها بأكبر عدد من طبقة رجال الأعمال والمال . أما أبناء الطبقة المتوسطة فهم لا يكلون من الشكوى من الجريمة والازدحام والقاذورات والضرائب ـ وهو بالطبع نمط معاناة مختلف تماماً عن معاناة أبناء جلدتنا . أما باقى القارة الأمريكية فهادىء نسبياً أميل إلى الإيقاع القروى منه للحضرى ، ذو مراكز مدن فيدرالية بيروقراطية معدومة الحيوية خاملة النشاط محاطة بمئات الأميال المربعة من الحدائق والفيللات والمراكز التجارية الممتدة أفقيا .

ولكن كيف أصبحت «مانهاتن» مختلفة هكذا ؟ كيف أصبحت إلى هذا الحد أوربية ؟ وإلى هذا الحد بعيدة عن الأمركة (التى صبغت القارة

بأكملها) . السيدة «اليزابيث هوز» ـ المحررة فى مجلة «النيويوركر» ـ تقول إن ناطحات السحاب (الخاصية المميزة لمدينة نيويورك عن باقى مدن العالم ) والامتداد الرأسى للإسكان ، تلك الفكرة التى كانت يوما ما مبتكرة وجديدة ، أعطت حاضرة نهر «هدسون» تفردها وتفوقها . وفى كتابها «نيويورك ـ نيويورك : ـ كيف غيرت العمارة الحياة فى المدينة ؟ » تقول بأنه فيما قبل عام ١٨٦٩ كان سكان نيويورك المحترمون مثلهم مثل غيرهم فى باقى أمريكا ، يعيشون فى منازل خاصة ومنفصلة عن بعضها البعض . بالرغم من أن بعض البرجوازيين من ذوى الأصول الفرنسية كانوا يعيشون فى تجمعات ومبان عالية ذات طبقات (محدودة) وهى الرؤى المعيشية التى حملوها معهم من فرنسا . إلا أن أيا من الأمريكان المعاصرين مهما كانت طبقته الاجتماعية فإنه كان يعتبر المبنى المتعدد السكان ماخورا للدعارة . إذ كيف يتسنى لهذا العدد الهائل من الأفراد أن يتحكموا فى الداخلين والخارجين من المبنى من الزوار وخاصة عندما يكون المدخل فى شارع جانبى بعيداً عن الشارع الرئيسى . . وشاعت قبل الحرب الأهلية ألفاظ مثل Tenement (مبنى متعدد الشقق) وقصد به المبنى الذى يضم ثلاث أو أربع عائلات . أما التعبير (Appartment Building ) عمارة أو برج سكنى . فلم يكن معروفا وقتها على الإطلاق .

وهذا التغيير بدأ فى عام ١٨٦٩ عندما بنى المهندس المعمارى «ريتشارد موريس هانت» أول عمارة سكنية أرستقراطية لواحد من أكثر رجالات نيويورك احتراماً فى ذلك الوقت وهو السيد «رذرفورد

ستيفسانت» وكان هذا المبنى يضمن لقاطنيه الأمن من خلال حراسة على مدار الـ ٢٤ ساعة بالإضافة إلى الخدمة المريحة للسكان . وهكذا تغلب مبنى «ستيفسانت» الواقع فى ١٤٢ شرق شارع ١٨ على الصورة الكريهة القديمة « للشقة الفرنسية » واجتذب العديد من الأزواج من أبناء الطبقة الأرستقراطية وذوى السمعة الجيدة . فانتقلت إليه أرملة الجنرال «كاستر» الذى سقط فى موقعة Little Bighorn « لتل بيج هورن» .

وقد أغرى نجاح «ستيفسانت» الآخرين : وفى عام ١٨٨٤ بنى أفخم مبنى عرف فى ذلك الوقت عند التقاء شارع ٧٢ بالجهة الغربية من الحديقة الكبرى التى تتوسط مدينة نيويورك . وسمى هذا المبنى «داكوتا» . ولأنه كان بعيداً عن قلب المدينة آنذاك ، فقد أطلقوا عليه استخفافا أنه يقع ضمن حدود ولاية «داكوتا » البعيدة وأخذ اسمها !!

هذا المبنى كان مزركشا إلى درجة مثيرة وكان به مدخلاً خاصاً بالعمال وسلما خاصا بالخدم وكذلك مصاعد منفصلة للخدمات والأحمال . وفى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر . تحركت المنازل والقصور إلى أطراف المدينة فى حين بدأت العمارات السكنية تنبت تدريجياً فى المدينة وصاحبها تحول متدرج فى التقبل الاجتماعى لهذه التكوينات الخرسانية الزاخرة بالسكان . وجدير بالذكر هنا انتقال المؤلف (ويليام دين هاولز) للسكنى من بوسطن إلى نيويورك ، ليس من ناحية أنه قد ساعد على تحويل مانهاتن إلى عاصمة ثقافية للبلاد . ولكن لأن المؤلف العظيم الشهير قد فضل السكنى فى شقة على المنزل الواسع ذى الحديقة بأطراف

المدينة ، وما صاحب ذلك من تحول سكنى كبير فى السلوك الاجتماعى لأهالى المدينة . .

أما الرواج العظيم فى إنشاء العمارات السكنية والأبراج العالية فقد حدث عند ما يسمى بنقطة تحول هذا القرن (الخاصة بالمدينة) والتى حددت بعام ١٩٠٤ وهو العام الذى افتتح فيه مشروع مترو الأنفاق لكى يصل قلب المدينة بأقصى شرقها وغربها . فساعد ذلك كثيراً على أن تنتشر الأبراج بسرعة وفى أماكن متفرقة كالزهور البرية تنبت شيطانية فى الفلاة . وبدأ الناس يعرفون «البلازا» والشقق الفندقية وناطحات السحاب وغيرها من فنون العمارة . وبحلول عام ١٩٢٩ كان وجه مدينة نيويورك قد تغيرت ملامحه تماماً .

أما ٩٨٪ من أثرياء «مانهاتن» فلم يأت عليهم «الكساد العظيم» إلا وهم من ساكنى العمارات والأبراج . وكثير منهم كان يتمسك بالفخامة التى عهدها فى البيوتات التى كانت إلى عهد قريب تملأ الـ «أفينيو الخامس» أو تتناثر حول نهر هدسون . حتى إن شقة السيدة «هوتون» التى كانت تقع فى المبنى ١١٠٧ بنفس الشارع (الأفينيو الخامس ) كان بها ٥٤ حجرة . .

# أمريكـا
# الدولة الحلم .. والحلم المستحيل

ما من قمة من قمم المال والنفوذ فى العالم إلا وترعرعت فى حضن أمريكا مولدا أو نشأة أو هما معا ، أو على الأقل مرت بها مرورا عابراً .

فأمور المال فى العالم لا تستقيم بغير أمريكا سواء شئنا أم لم نشأ وأى عملية فى العالم قلت أو عظمت قيمتها فلابد أن تقيم بالدولار الامريكى. وأمريكا إن لم تبدأ بها الثروة فلابد أن تصب فى مصارفها وتستثمر فيها كى يضمن صاحبها النمو المطرد والذى لا يعرف حدوداً. لهذا سوف نبدأ بإلقاء الضوء على أمريكا متعرضين لبعض من جوانب الحياة هناك بمحاسنها ومساوئها .

بين مجموع سكان الولايات المتحدة الذى يبلغ ٢٣٢,٦ مليون نسمة كان هناك نحو ١١٢ مليون نسمة يمارسون أعمالاً مدنية فى عام ١٩٩٠ .

ويبلغ متوسط الدخل السنوى للأسرة الامريكية ٢٢,٤٠٠ دولار ويتسنى لمعظم العمال الذين يبلغون سن التقاعد أن يتركوا وظائفهم ويعيشوا على ما يتقاضونه من مخصصات الضمان الاجتماعى أو غيرها من رواتب التقاعد أو المدخرات الشخصية ، أما المسنون المعوزون

فيحصلون على إعانات مالية بمقتضى برامج المعونة الفيدرالية ومعونة الولايات .

وينتمى ثلاثة أخماس جميع الأسر والأفراد إلى طبقتى الدخل المتوسط أو العالى وفى مقدرتهم أن يوفروا لأنفسهم ليس فقط ضروريات الحياة الأساسية فحسب مثل الغذاء والسكن والكساء بل أيضاً الكثير من كماليات الحياة العصرية ، ولقد أصبح العمال الأمريكيون اليوم من أكبر المستهلكين لمختلف السلع التى ينتجونها .

وتعيش نسبة ١٤ بالمائة من السكان دون حد الفقر الذى تقرره الحكومة الفيدرالية وقد بلغ حد الفقر فى عام ١٩٩٢ دخلا سنويا يعادل ٩٨٦٠ دولارا لأسرة تتألف من ثلاثة أشخاص ولا تعيش فى الريف . والأسر المكونة من العدد نفسه ولا يبلغ دخلها هذا الحد مؤهلة لأن تتلقى معونة من البرامج الاجتماعية المخصصة لهذا الغرض . وينفق الأمريكيون أموالهم بحرية ، كما يلجأون عند الضرورة إلى الاستدانة ليتمكنوا من شراء ما يبتغون ، ثم يقومون بتسديد ديونهم على أقساط شهرية منتظمة ، ولقد تغيرت خلال السنوات الأخيرة عادات الأمريكيين الشرائية : فالإقبال على شراء السلع المنزلية انخفض عما كان عليه فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ويجرى الآن إنفاق مبالغ أكثر من المال على التعليم والعناية الطبية والخدمات والسفر ووسائل التسلية والترفيه ، فى حين تنفق نسبة مئوية أقل من الدخول على الغذاء والكساء واقتناء السيارات .

وأكثر الأسر الأمريكية اهتمت بتدبير ادخار بعض المال إما كودائع فى

المصارف أو اتحادات التسليف . . أو كسندات حكومية أو شراء عقارات السكن أو التأمين ، ولدى حوالى ٨٨ بالمائة من جميع الأسر تأمين على الحياة .

يتناول معظم الأمريكيين غذاء متوازنا ومتنوعا ، من اللحوم والأسماك والخضروات والخبز ومنتجات الحبوب والألبان وبالرغم من ارتفاع أسعار المواد الغذائية والسلع الأخرى فإن أجر ساعة عمل واحدة يشترى اليوم ضعفى ما كان يشتريه منذ ٣٥ سنة مضت .

ويقيم أغلب الأمريكيين فى شقق أو مساكن منفردة تنار بالكهرباء ومزودة بالتدفئة المركزية وتتوافر فيها المياه الساخنة والباردة ودورات المياه داخل المساكن ، وفى عام ١٩٩٢ كان عدد الوحدات السكنية ٩٣,٥ مليون ، فى حين كانت هناك ٥٨ مليون وحدة عام ١٩٦٠ وفى كثير من المدن الكبيرة تبذل الجهود لترميم البيوت القديمة والمستهلكة ، وهناك كثير من مشاريع الإسكان جرى تصميها لذوى الدخل المنخفض وتمول من مصادر عامة .

ونتيجة الارتفاع العام فى دخول الأسر يمكن للمرء أن يجد عامل المصنع وصاحب المشروع التجارى الصغير والمدرس والبائع المتجول يسكنون جميعهم جنبا إلى جنب فى مساكن متشابهة فى الضواحى .

كان الفرد الأمريكى يتوقع فى بداية هذا القرن أن يعيش حتى سن السابعة والأربعين ، أما اليوم فإن هذا الرقم ارتفع إلى ٧٤ ، وخلال فترة الثمانين عاما الماضية هبطت باطراد نسبة الوفيات بين الأطفال بحيث

يموت منهم اليوم أقل من ١ بالمائة فى عامهم الأول ، وتتوافر الآن فى جميع أنحاء البلاد العناية الطبية الجيدة والعديد من المستشفيات والخدمات الصحية العامة على نطاق واسع .

ولدى الكثير من الأمريكيين تأمين صحى لمساعدتهم فى تغطية النفقات الطبية التى يمكن أن تنشأ .

وتواجه الولايات المتحدة مشكلة صحية كبرى هى توفير العناية للمسنين الذين يعانون من أمراض مزمنة . وتتولى الحكومة الفيدرالية العناية بالأشخاص الذين بلغوا الخامسة والستين وما فوق ، وغير القادرين على تحمل نفقات الخدمات الطبية ويمكن لأولئك الأفراد أن يحصلوا على مساعدات فى دفع نفقات المستشفيات وخدمات التمريض البيتية والمعاينات الطبية خارج المستشفيات .

وهناك برنامج آخر للمعونة الطبية يعمل على رفع الأعباء الثقيلة والمتزايدة فى مجالات الصحة والنفقات الطبية عن كاهل الفقراء والأسر التى تضم المسنين والمقعدين والعميان .

وتساهم الحكومة كذلك فى دفع نفقات بناء بعض المستشفيات ويوجد فى البلاد حالياً حوالى ٧٠٠٠ مستشفى يوفر العديد منها العلاج المجانى أو برسوم مخفضة للعاجزين عن دفع نفقات علاجهم كاملة ومن هذه المستشفيات أيضاً ٣٤٨ مستشفى تديرها الحكومة الفيدرالية وتشرف على الأخرى حكومات الولايات والحكومات المحلية والكنائس وغيرها من المنظمات والجمعيات ، والأفراد والشركات الكبرى .

ويحصل خمسة من كل ستة من العاملين فى المصانع والمكاتب ، مع أسرهم على الرعاية الطبية عن طريق التأمين الصحى الجماعى الذى يتحمل تكاليفه أرباب العمل والعمال معاً .

وأمريكا حلم الثروة والثراء لها وجه آخر لايدرك بشاعته إلا من عايشه ورآه رأى العين ، فحسب الإحصائيات الرسمية هناك أكثر من ستة ملايين أمريكى بدون مأوى ولا يملكون سوى أجساد ملقاة فى العراء على الأرصفة ، فولاية كاليفورنيا أجمل الولايات الأمريكية وأغناها على الإطلاق فيها (هوليوود) صانعة النجوم و(ديزنى لاند) مدينة الأحلام والعجائب ، وكذلك فيها أضخم حدئق الحيوان فى العالم وأروعها على الإطلاق ، وهى إحدى الولايات الأمريكية التى يبلغ نصيبها من المشردين أربعمائة ألف نسمة رسمياً وحوالى المليون وفق إحصائيات خاصة ، هذه الحقيقة التى لا تدخر الحكومة الأمريكية جهداً فى إخفائها لأنها واقع محرج تخجل الولايات المتحدة من مواجهة العالم به .

والتجول داخل مجتمع المشردين فى أمريكا مغامرة تحفها المخاطر ، بالدرجة الأولى ، ولكن على الرغم من خطورة المغامرة ، إلا أن المعنى والخبرة التى يخرج بها الإنسان من هذه الجولة ، يعدان ثروة ما بعدها ثروة لهذا المغامر خاصة لو كانت له رؤية الناقد وفضول الصحفى .

تبدأ المغامرة من الشوارع السادس والسابع والثامن وتقاطعاتها مع شارع ستانفورد وشارع لوس أنجليس حتى شارع سنترال ، مخترقا منطقة طوكيو الصغيرة حتى منطقة مدينة الصين «تشاينا تاون» : مناظر الفقر والأجساد العليلة الملقاة على الأرصفة لا فرق بينها وبين

صفائح القاذورات ، سوى أن تلك الاجساد تتحرك من آن لآخر .

بدأت الأنظار تتجه نحو المشردين دون مأوى من الشعب الأمريكى الذى أخذ يردد أخبارهم وبشكل ظاهر سنة ١٩٨٠ ، عندما كان هناك قاتل متجول يقوم بطعن هؤلاء الذين ينامون على الأرصفة حتى الموت وهم نيام ليلاً ، وبعد أن تم القبض على هذا القاتل المتجول قامت حملة لجمع التبرعات لمساعدة هؤلاء المشردين عن طريق الكنائس ومراكز الخدمة الاجتماعية ، ونشأت فكرة تلاحم الأيدى عبر أمريكا والتى نفذت فى مطلع ١٩٨٦ ، ثم اختفت أخبار المشردين وكذلك أخبار التبرعات التى جمعت من أجلهم .

وبدأت أخبارهم فى الظهور ثانية عندما بدأ قاتل متجول آخر فى قتل المشردين بإطلاق النار على رؤوسهم وهم نيام أيضاً .

ولم يقبض على هذا القاتل الذى يبلغ عدد ضحاياه حتى الآن ١٨ ضحية .

الغريب فى الأمر أنهم لم يلمسوا أى تغير فى حالتهم ، وأن شيئاً لتحسين أوضاعهم لم يحدث حتى الآن . بل إن بعض عربات الحساء التى تعمل لحساب جيش الإغاثة ، والتى تقوم بتوزيع الحساء ليلاً ، أصبحت تتأخر عن مواعيدها وأحياناً لا تصل على الإطلاق ، كذلك فإن القائمين على تنظيم عمليات المبيت فى بعض الكنائس أصبحوا يتاجرون فيها .

الغالبية العظمى من هؤلاء المشردين تعتمد معيشتها على تجارة

المخدرات وعلى السرقات متنوعة الدرجات وتعتبر الدعارة مصدر الرزق الوحيد للنساء المشردات بلا مأوى ، والمشاجرات الحادة ، التى تؤدى أحياناً إلى ضحايا ، حول بعض الخبز أو بقايا زجاجة خمر ، مشهد يتكرر عشرات المرات يوميا .

تقارير دائرة بوليس منطقة لوس أنجليس تقول إن هذه المنطقة التى تعج بالمشردين تسجل يوميا من مائة إلى مائة وخمسين بلاغاً ضد سرقات أو مشاجرات بالأسلحة الحادة .

وفى كثير من الأحيان يقوم بعضهم بالتشاجر عن قصد وإحداث جروح أو إصابات فى أجسادهم ، حتى يتمكنوا من المبيت داخل أقسام الإسعاف أو السجن حتى الصباح ، والمؤلم أن بعض تلك المحاولات تنتهى بشكل مؤسف ، فقد قام أحدهم بطعن نفسه كما اعتاد ، إلا أن الجرح الذى اعتاد أن يحدثه لنفسه أدى إلى غرغرينة حادة أودت بحياته .

فصل الشتاء بالنسبة إلى هؤلاء المشردين هو الفصل الذى ترتفع فيه نسبة الوفيات بينهم ، إما بسبب البرد القارس ، وخصوصا بين كبار السن ، أو حرقاً بسبب النيران التى يقومون بإشعالها ليلاً للتدفئة ، فيغلبهم النوم حولها ، وتعيس الحظ منهم من يتقلب على النار وهو نائم ، أو من تنشب فيه بعض الشرارات المتطايرة بفعل الهواء الشديد .

وقد سجلت الإحصائيات لسنة ١٩٨٥ مائة وفاة من جراء البرد وعشر وفيات بسبب حرائق التدفئة فقط .

ويشكل السود بين المشردين فى الولايات المتحدة الأمريكية الغالبية

العظمى ونسبتهم تزيد على الستين فى المائة والباقى هم أمريكيون بيض ومكسيكيون وهسبانك ، أى من أم أو أب أمريكى .

معظم قصص هؤلاء المشردين تصب فى قضية البطالة فى امريكا ، وبعضها الآخر يدور حول الطلاق والتفكك الأسرى الحاد فى كيان العائلة ، ومعظمهم من المراهقين أى دون سن الثامنة عشرة .

هذا بالنسبة للرجال ، أما بالنسبة للنساء ، فمعظم الحالات تبدأ بالحمل فى سن المراهقة فيقوم الأهل بالتخلى عن الفتاة فتتخلص من الطفل فى إحدى دور الرعاية ومن ثم تبدأ حياة التشرد وممارسة الدعارة للكسب المادى .

والغريب أن ما تفرزه هذه المجموعات الهائلة من المشردين من انحرافات لم تحفز المسئولين فى الحكومة الأمريكية لاتخاذ تدابير للحد منها ، على الأقل ، والسبب حتى الآن غامض ، حتى أن بعض هذه المجموعات المتشردة أصبحت تشكل عصابات بمعنى الكلمة ، (ومما يؤكد ذلك أن الدوريات الراجلة انعدمت من تلك المنطقة ، وتم استبدالها بدوريات متحركة تتكون كل دورية من عربتين ) .

وهذا بدوره أدى إلى نتائج عكسية على أولئك المشردين الأبرياء الذين لا دخل لهم فى العصابات إذ أصبحت الشرطة تعتبر كل مشرد فى تلك المنطقة بدرجة «خطر جداً» ومعنى كلمة خطر جداً فى لغة الشرطة الأمريكية أنه شخص يجب المبادرة إلى قتله من قبل رجالها ، سواء أكان يحمل سلاحاً ظاهراً أو غير ظاهر وهذا أيضاً تم إثباته فى أحد تقارير

مكتب التحقيقات الفيدرالى . فبعد حادثة إحراق سيارة شرطة وقتل من فيها ، قام رجال الشرطة بقتل أربعة اشخاص أبرياء بينهم امرأة حامل عند خروجهم من فندق فورد فى الشارع رقم ٦ فى مدينة لوس أنجليس ، وادعى رجال الشرطة أنهم كانوا يراقبون الفندق الذى يشتبه أن يكون فيه بعض الخطرين المسلحين وأن أحد الأربعة الذين خرجوا من باب الفندق اشتبه رجال الشرطة به يحمل مسدساً فى يده ، فقاموا بإطلاق النار صوب الأربعة فأردوهم قتلى .

وشريط الأحداث يطول سرده ، إذ لايخلو أسبوع فى تلك المنطقة من استدعاء رجال القبض «القناصة» إلى أحد المبانى الخربة فى تلك المنطقة لاشتباههم بوجود مسلح فيها .

يقول أحد أصحاب الدكاكين ممن ما تزال لديهم الجرأة على فتح دكاكينهم فى تلك المنطقة : إنه فى السابق كان يعيش فى شيكاغو فى الأربعينات ، وهو يرى الآن وكأن الأحداث تعيد نفسها ، فالعصابات فى شيكاغو بدأت تتشكل من بعض المشردين والعاطلين عن العمل أثر انهيار الاقتصاد الامريكى فى العشرينات وما نتج عن تلك السنوات من بطالة وأحداث . يقسم الرجل على أن ما يدور حوله الآن من تشكيل للعصابات يشبهها تماماً ، فهؤلاء الذين يشكلون العصابات تجمعهم كما تجمع من سبقهم غاية واحدة ، ألا وهى الحصول على المال ثم قال إننى أشهد ولادة عصابات شيكاغو من جديد .

«الكراك» نوع من الهيروين الحجرى ، صدق إن شئت أن الذى اخترعه هو أحد هؤلاء المشردين إذ أنه وجد نفسه لايستطيع الاستمرار

بالكمية الضئيلة التى يحصل عليها ، وكما يقولون الحاجة أم الاختراع ، فقد أرشدته حاجته إلى خلط الكمية الضئيلة ببعض الماء والنشا ثم تسخينها ثم تبريدها فأنتجت خليطا قاتلاً أطلق عليه اسم «الكراك» وتأثيره أخطر ثلاثة أضعاف من الهيروين العادى ويؤدى إلى تشنج سريع فى عضلات الجمجمة والمخ بشكل أسرع من أى مخدر عرفه تجار المخدرات، مما يعطى سعادة فورية للمدمنين لم يعهدوها من قبل ، ويؤدى إلى الوفاة من جراء استعماله بشكل مستمر فى مدة لا تتجاوز الستة أشهر ، وقد أدى هذا إلى إحداث ضجة لدى أوساط دوائر مكافحة المخدرات فى أمريكا لارتفاع عدد الوفيات بشكل غريب بين متعاطى المخدرات، لأنهم بدأوا فى تعاطى الكراك لرخص ثمنه . فثمن الهيروين العادى يبلغ عشرة أضعاف ثمن الكراك للكمية نفسها فأصبح متعاطوه من المشردين والفقراء، والأهم من ذلك طلبة المدارس والأطفال .

وهذا هو الشىء الوحيد الذى حرك الكونجرس الامريكى ، هذه المرة، للموافقة على إصدار قانون إعدام كل موزع للمخدر يؤدى إلى وفاة متعاطيه إذا ثبت أن الوفاة ناتجة عن تعاطى هذا المخدر .

ولكن أيضاً بعد تأخير دام أربع سنوات راح ضحيته ألوف من الشباب والأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية .

«مهما كانت درجة المشاركة فى الخطأ من جانب الشعب والحكومة الأمريكية معا ، إلا أن الجانب الأكبر يقع على عاتق الحكومة فهى

المسئولة عن التدهور فى سلوك وتصرف الشعب الأمريكى ، واليوم فإن كل من يعيش فى أمريكا يوقن يوميا بأن هذه الحضارة تسير بخطى سريعة إلى الوراء ، ولن يطول الأمر بها إذا بقى الحال على ماهو عليه من تفسخ فى كيان المجتمع المريض ، إلى أن تسقط وتنهدم أو أن تظل واجهة براقة تحوى بداخلها خرابة تنعق فيها الغربان » هكذا علق الصحفى الأمريكى «مارك ستين» فى جريدة الـ «لوس أنجليس تايمز» عندما قام بالتعليق على مقالة الإعلان عن تطبيق عقوبة الإعدام .

لا يعنى هذا أن كل المجتمع الامريكى مجرم أو منحرف ولكنه يبدو متغاضياً عما يدور بداخله بالنسبة إلى بعض طبقاته ، والمتغاضى عن المجرم لايقل ذنباً عن المجرم نفسه .

# طموحات الطبقة المتوسطة

كان من أعظم الأوتار التى ضربت عليها حملة الرئيس «بيل كلينتون» هو ذلك الذعر والرعب الذى انتاب الطبقة المتوسطة فى المجتمع الأمريكى ، إثر شعورهم العام بأن تواجدهم المنظم ومعيشتهم فى ضواحى المدن ـ وهو ما يعتبرونه حقهم الطبيعى ـ قد بدأ يتسرب من بين أصابعهم . أما أعظم الشروخ التى بدت فى إدارة « كلينتون » حتى الآن فهو عجزها عن الإبقاء على هذه القضية فى دائرة اهتماماتها اليومية .

وإنه ليبدو من السهل على النخبة الحاكمة ، ليبرالية كانت أو غير ذلك ، أن تذهب إلى أشياء أخرى فى فترة الاسترخاء الانتخابى ، بعيدة كل البعد عن قضايا فترات التوتر . قضايا تكون أهميتها أقل بكثير من الصحة والتعليم والبطالة والملكية الخاصة .

والقضية الساخنة الآن هى غضب الطبقة الوسطى وخوفها الذى يسرى الآن فى السياسة الأمريكية كما تسرى النار فى الهشيم ، والذى سوف يأخذ وقتاً حتى يتحول إلى حمم تأتى على الأخضر واليابس .

ونظرة هؤلاء الشباب القاصرة لأنفسهم وفيما حولهم بما لايتعدى مستوى أكتافهم ورؤيتهم لآبائهم على أن مواقفهم كانت متناسبة تماماً مع زمنهم الماضى ولم تعد تصلح لواقعيات هذه الأيام .

وهكذا فإن الصدام بين الثقافات والمبادىء قد طغى على المصالح الاقتصادية المشتركة .

وهذه قصة المجتمع الذى اتسع يوما ليستوعب جيلا كاملاً من مهاجرى الحرب العالمية الثانية الذين كانت حركتهم من المدينة إلى الأطراف المهمشة ، فى عصر ثبتت فيه الأسعار بينما زادت فيه قيمة العقارات زيادة رهيبة بطريقة جعلت من المستحيل على أبناء هذا الجيل العودة إلى قلب المدينة . وبقوا فى هجرتهم تلك يحملون ثقافات وشهادات علمية أكثر وأكبر من آبائهم ولكنها لم تضمن لهم على الأقل نفس مستوى معيشة الآباء ، بل جعلت مشكلاتهم أكثر حيرة وتعقيداً .

وقد ظهرت بعض المعتقدات الأساسية التى سادت فى فترة ما بعد الحرب ( مثل أن كل الأشياء تأتى لمن يعمل بجد وينتظر دوره ) والتى طمست حقيقة أن الحكومة ـ بدءاً من بيع البيوت بالتقسيط المريح إلى قائمة حقوق «بيل» ـ قد ساعدت فى خلق طبقة وسطى واسعة القاعدة فى الخمسينات . هذه المعتقدات كان لها الكثير من الظلال السياسية وردود الفعل لدى الإدارة الأمريكية التى حاولت أن تخلق دوراً للحكومة فى مساعدة الأجيال الجديدة من الطبقة الوسطى الأمريكية فهل يحتاج الأطفال الكثير ، وبسرعة ، مثلما يعتقد آباؤهم . أم أنهم يستحقون برامج خدمية قومية شاملة تنهض بهذه الطبقة كلها من الأساس وتحركها إلى أعلى ولو لمسافة يسيرة . (فى مقابل التركيز على شرائح خدمية معينة والنهوض بها على حساب المستوى العام ) .

وقد يبدو ذلك متعاظما إلى حد كبير مع أبناء هذه الطبقة . وهى

تقول إن هؤلاء الأبناء يـتمتعون بالفعل بطفولة مرفهة نسبياً ( نظراً لما أضافته التكنولوجيا من وسائل رخيصة للتربية والترفيه ) . ولكنهم جميعاً ما إن يشبوا عن الطوق حتى يدركوا أنهم فى حاجة إلى ممارسة مهنتين فى آن واحد حتى يـستطيعوا أن يعيشوا حياة آبائهم التى عاشوها بمهنة واحدة فقط . فماذا فعلوا جميعاً ؟ لقد نحوا فكرة إنجاب الأطفال جانباً أو أجلوها أو فى أحسن الأحوال حددوها بطفل واحد . وكان انزعاج الأمهات شديداً حول مـستقبل أبنائهم . والانزعاج الأكبر كان من الخطر المحيق بهم فى كل لحظة تمر عليهم وهن خارج البيت . أما اللواتى عشن « حركة المرأة من أجل المساواة » فقد وجدن أن البقاء بالمنزل مع أطفالهن ، ترف لا قبل لهن به . وكانت هى السخرية بعينها . . أنهن يمارسن المساواة بالرجل قسرا ورغم أنوفهن . . وصارت المسألة أنهن لايجب أن يبقين فى البيت حتى ولو أردن ذلك .

# تاريخ العبودية

** كانت العبودية فى أمريكا فى العام ١٧٧٦ ، حين كانت مؤسسة قائمة بذاتها تسخر من إعلان الاستقلال الذى أكد أن كل البشر لهم حقوق متساوية لا تنكر ولا يجوز نكرانها ، فى الحرية والسعادة . ولم يكن إعلان التحرر من العبودية هو فقط الترياق الشافى من كل التناقضات التى وقع فيها المجتمع الامريكى آنذاك ، والتى امتدت ظلالها حتى القرن العشرين . فصار التساؤل الملح الآن : هل حقاً غطى الوعد الأمريكى الزنوج بالحياة الأمريكية الواعدة ، ألم تترك موروثات العبودية فى نفوسهم آثاراً سلبية على الجهود المبذولة لأجل تحقيق مساواة فعالة بين أجناس نصف هذه القارة الشمالى ؟ .

** والاهتمام بدراسة حقبة «الرق فى أمريكا» هو اهتمام حديث بين المؤرخين فخلال الأربعة عقود المنصرمة ، امتدت الدراسات لتغطى الفترة منذ عصر المستعمرات إلى بدايات القرن التاسع عشر . فشملت النواحى الاقتصادية والديموجرافية (دراسة إحصاء السكان ) والأيديولوجية للعبودية وتأثير ذلك على المجتمع عامة والثقافة السائدة . ومقارنة ذلك النظام بأنظمة أخرى للرق فى أزمنة وأمكنة مختلفة . وإعادة فتح ملف تحرير العبيد والنظر فى الأحداث التى تعاقبت على هذا

المشروع. ومن هذه الدراسات تأتى «العبودية الأمريكية ١٦١٩ ـ ١٨٧٧».

** وبمزيد من البحث فى عبودية المستعمرات ، صار واضحاً أن هذا النظام لم ينم تدريجيا مع الوقت ، فقط ، بل اختلف من مكان لآخر. ولم يشكل العبيد السود جزءاً ذا قيمة فى تركيبة المجتمع الأمريكى إلا فى الأعوام الأخيرة للقرن السابع عشر ، عندما تناقصت بشكل حاد «طلبيات» العبيد التى كان يوردها الإنجليز إلى القارة الأمريكية .

** وقد تكثف عبيد المستعمرات فى تلك المناطق التى كان ينمو فيها الطباق مثل مستعمرتى «فيرجينيا» و«ميريلاند» ، حيث عاشوا فى مجموعات صغيرة فى مزارع متباعدة ، تحت إشراف المالك الأبيض . ذلك عكس ما حدث فى مزارع الأرز و«الأنديجو» ( نبات تؤخذ منه الصبغات الزرقاء والسوداء ) فى «ساوث كارولينا» حيث شكلوا غالبية السكان فى إحصاء عام ١٧٠٨ ، وعاشوا فى وحدات سكانية أكثر كثافة وأكثر تقاربا فى المسافة . أما المالك الأبيض فكان فى معظم الأحوال غائباً، وهكذا ترك لهم الحبل على الغارب ليشكلوا الثقافة الخاصة بهم والتى عرفت بالـ «أفرو ـ أمريكية » ومما ساعد فى ذلك أيضاً تطبيق نظام «المقطوعيات» ( الالتزام بحجم العمل وليس بمدته ) مما أوجد وقت فراغ أكثر لدى هؤلاء الزنوج كى يتفاعلوا وتكون لهم قوة فعل .

*** وفى الوقت التى انتشرت فيه العبودية والعبيد على مستوى كل المستعمرات ، إلا أن نسبتهم فى الشمال كانت قليلة .

كذلك بدأت تسن قوانين تنظيم تجارة العبيد . والقوانين التى تنظم علاقتهم بملاكهم البيض ( سنة ١٦٨٠ ) والتى صارت أكثر قسوة وصرامة . فقد تزايدت أعداد الزنوج بدرجة كبيرة وتزايد معهم الخوف الأبيض من وحشيتهم وقوتهم الجسدية الطائشة . . وهكذا صارت العبودية مؤسسة أمريكية مقننة ، تميز المستعمرات الإنجليزية عن إنجلترا نفسها التى كانت تمارس أشكالاً أخرى من قمع البشر ليس من بينها الرقيق السود .

وظهر أن نظام العبودية الأمريكى (الولايات المتحدة ) كان أكثر بشاعة منه فى أمريكا اللاتينية . ولكن العبيد الأمريكان (الشماليين) أظهروا مقدرة فائقة على التعايش !! . أما فى «البرازيل» و«جامايكا» مثلاً، فقد زادت أعداد الوفيات على أعداد المواليد ، وهكذا أخذت نسبتهم تقل تدريجياً بتوقف الهجرة أما مواليد العبيد الأمريكان الشماليين فقد فاقوا بكثير أعداد من ماتوا قبل الثورة ، وهكذا اتجه التعداد العام إلى الزيادة .

** والمدهش فى الأمر أنه من بين ١١ مليون أفريقى حملوا إلى القارة الأمريكية فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، كان نصيب الجزء الشمالى (الولايات المتحدة فيما بعد ) حوالى ٦٠٠ ـ ٦٥٠ ألف نسمة، تكاثروا إلى ١,١ مليون بحلول عام ١٨١٠ . وبعد توقف الهجرة، تضاعف عددهم ثلاث مرات ( تعداد عام ١٨٦٠) ، لكى تصبح الولايات المتحدة ، أكبر دولة فى نصف الكرة الغربى تضم أكبر عدد من العبيد ! . وهذا النمو السريع كان محل دراسات عديدة .

البعض يعزوه إلى المناخ الاستوائى لولاياتها الجنوبية والبعض الآخر إلى تضاؤل أهمية محصول قصب السكر الذى كانوا يعملون به (فلم يرهقهم أصحاب الأرض البيض) وبعض ثالث يميل إلى أن زيادة نسبة النساء فى المهاجرين الأوائل ، هى السبب . . أما فى القرن التاسع عشر فقد أعطى العبيد مزيداً من الطعام ورعاية طبية أفضل ومساكن كافية وكان ذلك غريبا على تقاليد ذلك الزمان .

** المقدرة العجيبة على التزايد بسرعة كبيرة ، شجعت الملاك على اقتناء العبيد وحدث رواج طفرى فى تلك التجارة . أما الأجيال التى ولدت على الأراضى الامريكية فقد لاقت معاملة أفضل من سابقتها، الذين اعتبروا متوحشين ولا يمكن السيطرة عليهم إلا بالعصا والكرباج . ولأن الأجيال الوليدة من العبيد ، عوملت بآدمية أكثر . فقد تشابكت العلاقات بين السود والبيض شيئاً فشيئاً . وتدخل السيد الأبيض فى كل دقائق حياة سدنته . حتى صارت الحرية بالنسبة لهم ، هى التخلص من فضول هذا السيد فقط .

** تلك التداخلات كانت مثيرة للاشمئزاز ، بالإضافة إلى أنها ساعدت على خلق الشخصية المتمردة الراغبة فى الاستقلال بين السود ، الذين كانوا لا يزالون يرزحون تحت نير نظام ضيق محدد قاس ؛ جعل من مجتمعهم (مجتمع العبيد) أضعف المجتمعات بالمقارنة بعبودية هذه الأيام فى الأقطار الأخرى (عبيد الإقطاعيات الزراعية فى روسيا ) وهكذا كانت الصحوة بين عبيد أمريكا أضعف من ثورات العبيد الروس (التى

اتسمت بالجماعية والشمولية أو الرقيق فى أى مكان آخر . ومال (العبيد الأمريكان) إلى التمردات الفردية أكثر من حركات المجموعات . حتى إن حكاياتهم الفولكلورية تحوى الكثير من قصص الأبطال الذين غامروا أو أبدعوا أو برعوا فى الحيلة والدهاء . ولا تحوى أعمالاً بطولية أو فدائية تخدم قضية الجميع . واتضح هذا الميل الانعزالى بعد «حركة تحرير العبيد» . فهذه المجتمعات التى تحررت . تفتتت بسرعة وانسحب كل أفرادها إلى داخل أسرته الصغيرة وأرضه القليلة وانكفأ على ذاته . أما الأجيال التى تعاقبت فقد اندمجت أو حاولت ، مع المجتمع الأمريكى . وبدأت تتملص من تاريخها القديم .

** ودراسة مثل هذه ، تتعرض لمثل هذه الحقبة ا مة من التاريخ الحديث ، لا يتوقع منها أن تغطى كل المساحات بنفس التركيز والكثافة . فهى تمر مثلاً بالثورة الأمريكية مروراً عابراً . على أية حا لباحث لم يفته أن يذكر كيف غيرت الثورة من مفاهيم الشعب الأمر الذى بدأ يدرك فداحة أن يملك روحا إنسانية يتحكم فيها كيف يشا كان من نتيجة ذلك أن توقفت تجارة العبيد نهائياً وبدأ تحريرهم ، سواء عن طريق التشريعات التى توالت وتزايدت صرامتها أو بحكم المحاكم ، وذلك فى الولايات الشمالية . أما فى الولايات الجنوبية فكانت حركة التحرير أبطأ ولكن أعمق تأثيراً ( لأنها كانت تشمل النسبة الكبرى من العبيد ) . وقد صاحب ذلك نشوء فكرة العنصرية العلمية ، المبنية على أسس علمية واقتصادية ، لتحل محل العنصرية الثقافية ( التقليدية) المبنية على أسس التاريخ والجغرافيا واللون . ويذكر كذلك ، كيف أن شعار الحرية كان

يقوى تدريجيا ويزداد عنفا وتأججا حتى انسحب على أمريكا كلها ، فعرفت بـ «البلد الحرة» واتخذت تمثال الحرية شعارا لها . وبدأت المرأة تمارس حريتها وكذلك الأقليات الدينية والعرقية وهاجر إليها المضطهدون سياسياً . .

# « السود » شوكة فى الظهر

الآن وعلى الرغم من دعاوى التحرر والحرية ونبذ التفرقة العنصرية ، فإن مجتمع «الفرص المتاحة للجميع » لايزال يرزح تحت وطأة المرض القديم المتجدد «التمييز العنصرى» . ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين فإن المرء لايملك نفسه إلا أن يتعجب على حال شرطى العالم الذى لايفتأ يرفع عقيرته بأهازيج العدل والحرية والمساواة ، وهو ـ فى أعماق ذاته ـ يعانى اضطراباً حاداً ونفساً لاتكاد تلتئم إلا لتنشق .

هؤلاء هم «الزنوج» أو «السود الأمريكان» الذى يحملون فى بشرتهم خطايا أجدادهم الافارقة ، فصاروا يمثلون قمة الإحساس بالذنب فى الضمير الأمريكى . إنهم التهديد والغضب والخجل الضارب فى أعمق أعماق هذا المجتمع . لقد عرفت أمريكا كيف تتعامل مع المهاجرين وكيف تمتصهم كطاقة محركة رخيصة تخدم البنية التحتية للهيكل الاقتصادى ، لكنها أبداً لم تنس لمواطنيها من ذوى الأصول الافريقية ، خطيئة لونهم .

بداية نتساءل : ترى من بدأ ؟! . . أهم السود الذين يتعاطون المخدرات ويرتكبون جرائم العنف والقتل ويمارسون التشرد بكل أنواعه؟! . . أهم صغارهم الذين يهربون من المدارس إلى الشوارع

فيروعون الآمنين بمسدساتهم وأهوائهم الطائشة ؟! . . أم أنه المجتمع الذى أفرز هذا النتاج ؟!

لا نهتم كثيراً بالإجابة على هذا السؤال بقدر ما نتخذه مدخلاً إلى توصيف الحالة فيستمر التساؤل : بأى حق يجعلون الحياة صعبة على أنفسهم ؟ لقد أعطوا الوقت والفرصة كى يبرزوا بأنفسهم كمواطنين عاديين ، لكنهم قادتهم الذين يؤلبون فيهم روح «الدونية» والتمرد فبماذا تفيد القوانين المكتوبة إذا كانت كل الممارسات تكرس هذا الشعور ؟ إن مشكلة السود ليست هى «أم المشكلات» ولكنها إحدى صور مجتمع صار يستمرىء شعور الضحية ويستلذ الآلام والمعاناة (حين لا تكون مبررات كافية لذلك !! ) .

لقد أصبحت أمريكا بلد المشردين والشاكين ، فموظف فى البريد يرفع قضية على إدارة هيئته ، لأن كل العمليات التى تدار بمافيها الطرود والخطابات والحوالات والصناديق ، قد صممت كلها لاستعمال الناس ذوى الأيدى اليمنى أما هو فكان أعسر ! . . وآخر يعمل فى مصنع للبيرة فى «ميتشيجان» يرفع قضية على مصنعه يطالبه فيها بمصاريف علاجه من إدمان البيرة وتعويضه بمبلغ ضخم عن الأضرار الاجتماعية التى حاقت به من جراء ذلك . وهو يرى أن السبب المباشر كان سماح إدارته للعمال بتعاطى البيرة بأى كمية دون مقابل ! . . وبعض النساء قدمن فريقا للبيسبول للمحاكمة لأن أعضاءه وزعوا هدايا عيد «الأب» على الذكور فقط من مشجعى الفريق دون النساء مما يعد فى نظرهن تفرقة صارخة بسبب الجنس .

هذه الأمثلة وغيرها الكثير مما تحفل به الحياة اليومية الأمريكية ، تعكس روحا عامة بدأت تسود ألا وهى الإحساس بانعدام المسئولية الشخصية والانكفاء على الذات والفردية وغياب صفات التسامح والمشاركة . غير أنه فى غمرة هؤلاء المتبرمين يبدو «السود» ( فى رأى الكثير من أساتذة علم الاجتماع) مبالغين فى حجم مشكلاتهم ومعوقاتهم . فأحدهم وقد تخرج من الجامعة مهندسا منذ خمس سنوات لم يعمل حتى الآن ، على الرغم من أن كل أبناء دفعته من البيض ، قد عملوا فور تخرجهم . أما فرص العمل التى أتيحت له فهى إما ضابط أمن فى «سوبرماركت» أو «بوابا» أو صبيا فى محلات «البيتسا» يحملها إلى المنازل .

آخرون ، وهم كثير ، كانوا يقرأون إعلانا مبوبا ، فيتصلون بصاحبه تليفونيا ، الذى يحدد لهم موعداً للمقابلة الشخصية مع كل الترحيب بمؤهلاتهم المسموعة . وما أن تحدث المواجهة ، حتى يعتذر صاحب العمل برقة ، أو يعد بالاتصال لاحقا ، أو يكون فجا فيطلب منهم تزكية صديق أبيض لو كانوا يعرفون !!

بعض علماء الاجتماع يؤيدون صحة تلك المزاعم ، ويؤكدون أنه على الرغم من اتساع الطبقة الوسطى واستيعابها لنسبة كبيرة من السود إلا أن هناك العديد من المهن التى مازالت مغلقة فى وجوههم مثل المحاماة والهندسة المعمارية وطب الأسنان .

الاتجاه العام لدى الموظفين والمثقفين وأصحاب الأعمال من البيض هو أن السود يجب أن يتقبلوا البدء من القاع وأن يبذلوا أقصى جهدهم

حتى يرتقوا بأعمالهم شيئاً فشيئاً . وهكذا فإن عليهم أن يظهروا من الصبر والمثابرة مالا يطلب من أقرانهم البيض وفى المقابل يحصلون على الحد الأدنى من الأجور مثلهم مثل المهاجرين الجدد ، وربما أقل .

ومشكلة السود فى أمريكا تصبح أكثر إلحاحاً وإيلاماً عند ما تتحور وتدير إلى المجتمع وجهها القبيح الذى يكشر عن أنياب العنف والإرهاب .

والملاحظ أن الشباب فقط هم الذين يرتكبون مثل هذه الأعمال وتتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، وهم يشكلون نسبة واحد فى المائة من التعداد السكانى ولا يعبأون كثيراً بالقوانين ولا الأعراف . وفى أوقات الكساد التى مرت بالاقتصاد الامريكى ، وعلى حين كان البعض يتماسكون محاولين إنقاذ أنفسهم وعائلاتهم فإن الشباب الأسود كان يبدو عقيماً اقتصاديا وسياسياً واجتماعياً ، وكل ما أتقنوه فى تلك الظروف الحالكة هو استعمال قوتهم الجسدية استعمالاً طائشاً من أجل استمرار الحياةفى مجتمع قاس .

أما مظاهر هذا العنف فتظهر فى كون القتل صار هو السبب الأول والرئيسى لموت شباب السود سواء بالأسلحة النارية أو بالأسلحة البيضاء وبمعدلات تتراوح من تسعة إلى عشرة أمثال النسبة فى البيض فى نفس السن . البعض من هؤلاء القتلى ، ضحايا أبرياء قتلوا عرضا والبعض الآخر قتلوا فى نزاعات حول المخدرات والجنس أو المسروقات . والآن : «١٩٩٣» فإنه توجد مناطق فى بعض المدن الأمريكية ، لا يدرى قاطنوها

ما إذا كانوا سيعيشون حتى آخر العام أم لا ، لذلك فإنهم لا يأبهون كثيرا بعقوبة الإعدام .

كانت الفكرة التى وجدت رواجا على مدى ثلاثين عاماً منذ قرار «براون» سنة ١٩٥٤ ، هى أن الحكومة تستطيع فعل الكثير بخصوص المساواة بين الأجناس فى أمريكا . لكن حقبة الثمانينات وأوائل التسعينات تميزت بالرفض الحكومى الصريح لهذه الفكرة وهى الفترة التى حكم فيها الجمهوريون وأرادوا أن يؤكدوا للناخبين البيض أن وضعهم المميز لن يمس من قريب أو بعيد وأن السود سوف يحصلون على دعم حكومى أقل من ذى قبل !! أما خسارة الديمقراطيين فإنها ترجع إلى اهتمامهم المتزايد بمجتمع الزنوج ، وهوما صرف عنهم الناخبين البيض فيما مضى ولعل هذا هو ما دعا الرئيس الأمريكى (الديمقراطى) إلى إخفاء مستشاريه السود عن أجهزة الإعلام ، والتقليل من ظهوره شخصيا فى صورة المؤازر للمجموعات السوداء وكانت هى المرة الأولى فى نصف قرن التى يتخلى فيها الحزب عن ذكر محاربة التمييز العنصرى . إنها مخاطرة إذن ! . . لكن الديمقراطيين اتخذوها بتصميم ، ثقة فى أن ذلك سوف يعطيهم فرصة أكثر مما أتيح لهم فى حملتهم السابقة وما حدث هو أن السود صوتوا ( للحزب الديمقراطى (متأثرين بالجو العام ) لكن الكثير منهم رضوا بتجاهل دورهم ، أو أن ولاءهم للديمقراطيين أخذ كشىء مضمون . لذلك اختلف موقفهم ما بين المرشحين (الديمقراطيين) ، ففى حالة الأول كانت نسبة مشاركتهم فى الانتخابات عشرة فى المائة ، فى حين انخفضت إلى ثمانية فى المائة مع الأخير .

فى دستور العمل الذى قدمه الرئيس الديمقراطى ونائبه والمسمى بـ «الناس أولاً» ، يتحاشى الاثنان ذكر كلمة التميز العنصرى ولو عرضا ـ كذلك يغفلان عمدا ذكر الفصل بين السود والبيض سواء فى السكن أو فى المدرسة . وفى فصل كامل عن الحقوق المدنية يؤكدان أن محاباة إدارتهما لأى من أبناء الشعب الامريكى ستكون على أساس درجة إعاقته البدنية أو تفضيل جنسى معين ذكرا كان أم أنثى فى عمل دون الآخر ، ولكنها أبداً لن تكون على أساس اللون . ويدرك الاثنان أن مشاعر الكراهية والإحباط تجد أرضا خصبة فى مناطق تجمع السود الذين يولدون وينشأون بعيدين كل البعد عن البيض . فإذا خرجوا عن هذه الحدود الضيقة إلى المجتمع الواسع ، فإنهم لايملكون أنفسهم من الإحساس بالغضب والمرارة والكراهية تجاه العنصر المسيطر . ويزداد الأمر سوءاً كلما زادت معاناتهم اليومية فى سبيل ضمان حد أدنى من الحياة الكريمة لذلك كانت خطة الإدارة الجديدة تتضمن العديد من الأهداف الواعدة ، لا الحصر .

١ ـ الدعم المادى الكامل لبرنامج البداية الرئيسية بغرض تحسين القدرات التعليمية لدى الأطفال الفقراء .

٢ ـ برنامج «التعليم البيتى» والغرض منه تعليم الآباء والأمهات كيفية تربية أطفالهم .

٣ ـ سد الفجوة بين دخول الفقراء وحد الفقر .

٤ ـ خلق شبكة من مراكز رعاية الطفولة ، بحيث تنتشر انتشار المدارس .

٥ ـ برنامج لتدريب النساء لمدة عامين على عمل معين ، ثم إطلاقهن بعد ذلك سواء فى مجال العمل العام أو الخاص .

# مرة ثانية « مالكولم أكس »

يبدو أن الحديث عن «مالكولم أكس» لم ينقطع منذ بروز فيلم «سبايك لى» الأخير عنه وكأن هذا الفيلم قد فتح شهية الكتاب والقراء على السواء لمزيد من محاولة الفهم والتقرب أكثر لهذه الشخصية الأسطورية . شخصية الزعيم الامريكى الأسود المسلم الذى تحول إلى «كاريزما» تاريخية ، يبدو أنها لن تمحى من الذاكرة قبل أمد بعيد .

فالنظر إلى فلسفته وشخصيته يجعلان منه رمزاً لوحدة القومية السوداء الثائرة ، ومحاولته فى فرض العنصر الأسود على سطح الحياة الأمريكية حتى يمكن لهذا العنصر أن يحتل مكانه اللائق . وكذلك يجب أن ندرس أفكاره التى طرحها قبل مقتله . إذ تعتبر هذه الثقافة وثبة تهدف لإيجاد وإنعاش الفكر الأمريكى والتقاء طرفى الشعب بلونيه الأبيض والأسود . وأما كونه كان محتضناً لمسلم كأحد مساعديه فهذا أدعى لأن يكون رمزاً أيضاً لباقى الشعوب المستضعفة من وجهة النظر الأمريكية .

# جرائم الاغتصاب

** لا تصدقوا أن الغرب هو الجنة الموعودة دائماً ! وأنه واحة الأمن والأمان وأن أهله قد استراحوا من كل منغص ، وهمّ الآن ينعمون بكل شيء . أيها السادة ، إذا كان يشغلنا الآن السباق التقنى وملاحقة التطور العلمى الذى لا يهدأ . فهم تشغلهم أمور أبسط ولكنها أفدح . تشغلهم أمور سلامتهم وراحة بالهم . فالزوجة يشغلها أن زوجها قد لا يعود إليها أبداً . فقد يقتله مخبول أو مخمور أو طائش أرعن . ويشغلها أيضاً أطفالها ، الذين قد يقتلون أو يدهسون أو يختطفون أو يغتصبون . والزوج يشغله فوق ذلك ، أن زوجته أيضاً ، يمكن وببساطة شديدة أن تغتصب . فليس هناك رادع أخلاقى ولا قضائى قوى . وكأن الأمن قد صار موكولاً بأصحابه وعلى كل أن يتحمل مسئولية بيته ونفسه . يحدث هذا فى أرقى وأقوى دول العالم ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين فأى ردة يرتدها البشر .

** فهناك من يعتقد أن المغتصبين ليسوا مرضى ولكنهم شياطين مردة .

فهناك قصور بين القضاة والجهاز القضائى يجعله لايتمكن من أداء عمله أداء جيداً . وكذا رجال الشرطة والمحققون فهناك الكثير مما يشوب

عملهم من القصور والتشوش واللامبالاة . أما المدعون المدنيون فهؤلاء يتجنبون هذا النوع من القضايا المعقدة التى تخفض من أسهمهم وتلجم قدرتهم على الإقناع وفى النهاية تهز صورتهم فى ميدان القضاء . ثم يأتى القضاة الذين يرون القضية أمامهم مهترئة ، وخشية أن تأتى أحكام الاستئناف فتطيح بأحكامهم وفى ذلك ما فيه من إهانة ، لذا فهم يحكمون بأدنى العقوبات . وفى النهاية نجد أن ميزان العدالة المقدس قد مال بشدة ناحية المغتصبين .

** وهكذا فإن أقوى رموز هذا الجهاز نجدها أميل إلى التحالف مع المغتصبين ، فهم جميعاً يكاد يتملكهم شعور واحد بالاشمئزاز من المغتصبات وضحايا تلك الجرائم . صحيح أن نسبة كبيرة من هؤلاء الضحايا من المتاجرات بالمخدرات المتعاطيات والشمامات والعاهرات والمتشردات واللصوص . إلا أنه توجد بينهن أيضاً الراهبات والموظفات والمدرسات ، بل والجدات المتقدمات فى العمر وقد تولدت لدى المغتصبين قناعة ، أنهم كلما انتقوا ضحاياهم من الطبقات الدنيا من المجتمع ، فإن أحداً لن يعير القضية اهتماماً ! .

** فهناك من الأمثلة على مثل هذا الاضطراب فى العلاقات الاجتماعية الأمريكية : فهذه موظفة عادت إلى بيتها ذات يوم ، فوجدته مضطرب الأثاث وفى حالة فوضى . وقطرات من الدماء تناثرت هنا وهناك ، فانزعجت الأم ونادت على ابنتها (ذات الإثنى عشر ربيعا) والتى من المفترض أن تكون قد عادت من المدرسة منذ ساعتين ، فلم يجبها إلا صوت رجل ، اندفع من حجرة نومها ووضع سكينا فى ظهرها

وقادها إلى الحمام حيث كانت ابنتها مغشياً عليها وفى حالة يرثى لها ، وكان بادياً أنها تعرضت لعملية انتهاك بالغة الوحشية وأدركت الأم أنه لا فكاك إلا بالإذعان التام لأوامر هذا الشيطان المولغ فى الوحشية فاغتصبها هى الأخرى .

** ومن خلال الكثير من الخطوات الروتينية والبيروقراطية المعقدة والتى استنزفت كبرياء المرأة وابنتها ، قبل أن تستنزف أموالهما ، تم رفع الدعوى ورغم وضوح القضية وبشاعة أحداثها ، فقد أدان المحلفون والقضاة الجانى باغتصاب الإبنة فقط ، دون الأم . إذ أن الأم لا تمثل لهم «ضحية جيدة» تخدمهم إعلامياً واجتماعياً ومهنياً ، على عكس الإبنة الصغيرة التى ستجعل منهم رموزاً للعدل المفقود ودرعا حامية للمجتمع . وهكذا صار المغتصبون يثقون فى القضاء أكثر من ثقة الضحايا به . .

مثال آخر أحدث دويا عظيماً . وذلك أن أحد القضاة أصدر حكما فى قضية عرضت عليه سنة ١٩٨٨ ، اتهم فيها شخص بهتك عرض ثلاثة أطفال ٨٢ مرة . التهمة كانت ثابتة . أما الحكم فكان أن يلقى المتهم على العامة سلسلة من المحاضرات بعنوان «انتهاك عرض الأطفال» تنصب أساساً على تحذيرات من هؤلاء المصابين بالشذوذ وكيف يمكن التعرف عليهم وتجنبهم من بين باقى أفراد المجتمع الطبيعيين . وكذلك كيف نحمى أطفالنا من أن يصبح أحدهم واحدا من هؤلاء المنحرفين فى المستقبل .

ولما كان الحكم ضعيفاً ، بل انه يشوه كل شيء جميل فى المجتمع الأمريكى ، فها هى براءة الأطفال تنتهك . . وهاج المجتمع الأمريكى . . واضطر قضاة آخرون إلى الحكم على المتهم بالسجن ١٢ عاماً .